

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 25- سورة آل عمران | من الآية 611 إلى 711

عبدالرحمن العجلان

والصلوة والسلام على نبينا محمد وعلى الله وصحبه اجمعين وبعد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا
لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا. واولئك - 00:00:00

اوئلئك اصحاب النار هم فيها خالدون. مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل انفسهم يظلمون. هاتان الآيتان الكريمتان من سورة
آل عمران جاءتا بعد قوله جل وعلا ليسوا سواء - 00:00:30

من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله اثناء الليل وهم يؤمّنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعرفة وينهون عن المنكر ويسارعون
في الخيرات. ويسارعون في الخيرات واولئك من الصالحين وما يفعل من خير فلن يكفر. والله عليم بالمتقين - 00:01:10
ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيء ذكر جل وعلا في الآيات السابقة ثناء اهو على من امن من اهل الكتاب.
وجاء في آية اخرى - 00:01:50

انهم يؤمنون بآجرهم مرتين. لايماهم بنبيهم ايماهم بمحمد صلى الله عليه وسلم. عقب هذا ذكر جل سوى على الكافرين من اهل
الكتاب. وتوعدهم فهم مهما جمعوا من الاموال واعطوا من الاولاد فان ذلك - 00:02:20
لن ينفعهم عند الله في الدار الآخرة. ولن يغنى عنهم شيئا فقال تعالى ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا.
قيل المراد بهم من كفر من اليهود. منبني قريظة ومن النظير - 00:03:00

وغيرهم من كفار اهل الكتاب. وقيل المراد بهم كفار قريش لأن ابا جهل كان كثير الافتخار بماله وولده. واتباعه وانصاره. وقيل الى
المراد جميع من كفر بالله ورسله من اليهود والنصارى والمشركين قاطبة - 00:03:40
وهذا اولى والله اعلم. وان كانت الآية نزلت لسبب فالعبرة كما يقول المفسرون رحمة الله العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص اسس
السلف قال جل وعلا ان الذين كفروا ايا كان كفراهم - 00:04:30

يهود او نصارى او مشركين او من عباد الكواكب او غيرهم لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم. وهذا ثالث صنفان هما اكثر ما يفتخر به
المرء ويعتمد عليه به في الشدائدين. ان كانت المسألة مسألة افتداء. وبذل مال - 00:05:00
 فهو اكثر ما يعتمد على ماله. لا يعتمد على مال غيره. وان كانت المسألة مدافعة وطلب نصرة وطلب معاونة او كف او مقابلة عدو
فاكثر ما يعتمد على او ولده فاخبر الله جل وعلا عن هذين الصنفين انهما - 00:05:40

لا يغنيان عن العبد اذا كفر بالله شيئا فغيرهما من باب اولى. الا اذا لم ينتفع بماله فلن ينتفع بمال ولده ولا مال فيه ولا ما
لجاره. واذا لم ينتفع بولده فلن ينتفع بولد غيره - 00:06:20

وكان الكفار كثيرا ضائعتمدون على اولادهم في النصرة والتأييد وغير ذلك. كما قال بعض وهم لبعض العرب لما تسمى خادمك سهل
وسالم اسمي ولدك صخر وحرب ونحو ذلك. فقال اسمي خادمين - 00:06:50
واسمي ولدي لعدوي يسميه ليكون في وجه عدوه وفي نحره. واسمي خادمه لي عندي يخدمني ومعي فانا اقول له هذا الاسم
الحسن سهل وسالم ونحو ذلك والله جل وعلا يرد - 00:07:30

على من افتخر بماله او افتخر بولده بان ذلك عليك لن ينفعه عند الله شيئا. فلو كان لاحدهم من المال ذهبا ما افتدى به وما قبل منه.

ولو كان لاحدهم من - 00:08:10

اخواني من الارض ما دفعوا عنه من عذاب الله شيئاً. فتبيئيس للكافر من ان يعتمد على من يظن انه ينصره وي ساعده. ان الذين فكروا
لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اي شيء - 00:08:40

واولئك هؤلاء الكفار اصحاب النار اهلها وهي مأواهم هم فيها خالدون. الخلود الاستمرار. يعني لا لا يرتحلون ولا يوعنون عنها ولا
ينصرفون. ولا تطفأ او تموت. او تنتهي بل مستمرون في العذاب والعياذ بالله. ثم جل وانه جل وعلا - 00:09:10

بمثل محسوس يدركه كل احد. في ان المرأة يعتمد على شيء ما فيخونه هذا الاعتماد احوج ما يكون اليه فهو احوج ما يكون في
الساعة التي يحتاج الى هذا الشيء يكون - 00:09:50

لا يجده ولا ينفع به. فقال مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا دنيا مثل انفاقهم لانهم يفتخرن انهم انفقوا في الحرب كذا وكذا
وابو جهل يقول انفاقت في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم كذا وكذا من المال - 00:10:20

ويوعد بأنه سيبذل الاموال الطائلة لكف دعوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو يفتخر بهذا. يأتي بهذا على سبيل الافتخار اخبر جل
وعلا ان هذا البذل الذي يبذله هو وامثاله - 00:10:50

ما يستفيدون منه شيئاً. مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا. كما بريح فيها سر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهالكته الزارع
والحارث يزرع فترة طويلة يعمل الثمرة والربح والفنى والانتفاع بما يجري يتعصب فيه اشهر - 00:11:20

ليجني الشمار فيبين جل وعلا ان من ينفق ماله في غير مرضاه الله جل وعلا انه كمثل حرف قوم اصابته ريح باردة شديدة. والسر
الريح المصحوبة بالبرد الشديد. وقيل الريح المصحوبة بالحرارة الشديدة. وكلما الامر - 00:12:00

صحيح ان كانت مصحوبة ببرد شديد اهلكت الزرع وان كانت مصحوبة بحر شديد ولهيب نار احرقت الزرع. فهي تتلف في كل
الحالين. كما ريح فيها سر برد شديد. او حر شديد. اصابت هذه - 00:12:40

زرع قوم ظلموا انفسهم في معصية الله تعالى ظلموا انفسهم فاهالكته. يتلف. كان يعمل الغنى الواسع. وحصر المال العظيم من هذه
الزرع فاذا به في لحظة يبس ويكون لا قيمة له - 00:13:10

فاهالكته. ثم ان الله جل وعلا اخبر انه منزه عن الظلم وما ظلمهم الله. والله جل وعلا يقول وما ربك بظلما للعبيد. وما ظلمناهم لكن
ظلموا انفسهم وما ظلمهم الله لان الله جل وعلا حرم الظلم على نفسه - 00:13:40

وحربه على عباده. يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محربا فلا تظالموا. والله جل وعلا وعد بأنه سيقتصر للمظلوم
من الظالم يوم القيمة. مهما كان الظالم قويا عظيما جبارا عنيدا فان الله - 00:14:10

الله جل وعلا سياخذ منه الحق. لمن ظلمه. ومهما يكن المظلوم ضعيفا فقيرا مسكينا فان الله سينصره ويأخذ له الحق. وقد حذر النبي
صلى الله عليه من الظلم وان كان لغيره وان كان لبيت المال وان كان - 00:14:40

الذي يأخذ لمصلحة المسلمين يقول اياك اياك. يقول لمعاذ رضي الله عنه واياك وكرائم اموالهم. لا تظلمهم تأخذ الطيب والغالبي
والنفيس عليه في الصدقات واياك وكرائم اموالهم ثم جعله يتنبه - 00:15:10

لربه تبارك وتعالى ويرحب لهذا الف حساب ولا يكن نظره الى المظلوم فالظلم قد يكون فقير المسكين ما احد ينصره ولا احد يؤيده
سوى الله تبارك وتعالى. قال واتق دعوة المظلوم - 00:15:40

فانه ليس بينها وبين الله حجاب. ينصرها الله جل وعلا ويأخذ الحق منك حتى وان ظلمته لمصلحة المسلمين او لبيت مال المسلمين
او ظلمته لاجل تنمية موارد المسلمين. لا. احذر هذا. وما ظلم - 00:16:00

الله بهذا الفعل وباتلاف اموالهم وبعد اغناائه عنهم شيئا ما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون. هم ظلموا انفسهم فالمرء اذا عصى الله
ظلم نفسه. اذا انفق ما له في معصية الله ظلم نفسه - 00:16:30

اذا قصر في طاعة الله ظلم نفسه. وقد يكون الظلم باختيار غير الاولى بالاتيان بالحسنة. قد يكون المرء ظالم لنفسه وهو اتى بحسنات
انه بامكانه ان يأتي بحسنات اكثرا فاقتصر على الاقل فيكون ظلم نفسه - 00:17:00

بامكان ان يأتي بالفعل افضل واحسن فاتى بالفعل مجزنا. فيكون ظلم نفسه وان لم يكتسب سيئة لكن قصر في اكتساب الحسنات.

ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر الصديق رضي الله عنه الذي هو افضل الامة بعد نبيها - 00:17:30

قال له ابو بكر يا رسول الله علمني ادعوا علمني دعاء ادعو به وفي روایة في صلاتي. قال قل اللهم اني ظنت نفسي ظلما كثيرا. ولا يغفر الذنوب الا انت. فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني - 00:18:00

انك انت الغفور الرحيم. اللهم اني ظلمت نفسي ظلما كثيرا. ابو بكر رضي الله عنه السباق الى الخيرات يعلمه النبي صلى الله عليه وسلم الاعتراف بانه ظلم نفسه ظلما كثيرا. وقد لا - 00:18:20

كونوا ظلمها بالوقوع في المعصية. وانما ظلمها بفعل ما هو اقل ثوابا اكثرا توابا. فيكون ظلم نفسه. اذا عصى الله ظلم نفسه. اذا قصر فيما اوجب الله او عليه ظلم نفسه هو لا يضر الله شيئا ولكن يضر نفسه. وما ظلمهم الله ولكن - 00:18:40

انفسهم يظلمون. فهم يظلمون انفسهم بالوقوع في المعاصي. فحصل ما حصل عليهم من الخسارة والهلاك في الدار الآخرة. وذلك ان الله جل على مطلع على اعمالهم. ويعلم المخلص من غيره. يعلم من يريد وجه الله - 00:19:10

ومن لا يريد ذلك يعلم من يبذل ماله فيما في طاعة الله من يبذل ماله في معصية الله. والناس تخفي عليهم الامر. قد يشكونون شخصا لا يستحق عند الله شيئا - 00:19:40

وقد يلومون شخصا هو عند الله جل وعلا من المقبولين ومن الفائزين ان الاول رأى الناس بعمله فمدحه الناس والله جل وعلا لا قيمة للثواب لا قيمة العمل الذي يعمله العبد لغير وجهه. والآخر اخفى عمله الصالح واسره - 00:20:00

فيما بينه وبين ربه فرضي الله عنه والناس قد يسخطون عليه. فما يظيعه سخط الناس فما الذي يضيره سخط الله؟ والذي ينفعه هو رضا الله. من رضا الناس بسخط الله عليه واسخط عليه الناس. ومن - 00:20:30

التمس رضي الله بسخط الناس رضي الله عنه وارضى عنه الناس فليخلص العبد في عمله لربه وليس له حتى يكون ثوابه مكملا موفورا يجده احوج ما يكون اليه في الدار الآخرة - 00:21:00

يقول الله تعالى مخبرا عن الكفارة المشركين بانه لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اي اي لا ترد عنهم بأس الله ولا عذابه اذا اراد بهم فاولئك - 00:21:30

اصحاب النار هم فيها خالدون. ثم ضرب مثلا لما ينفقه الكفار في هذه الدار. فقال تعالى مثل ما ينفقون في هذه في الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر. اي برد شديد. قال ابن عباس رضي الله عنه وقال عطاء فرد - 00:21:50

وجليل فيها سر اي نار وهو يرجع الى الاول فان البرد الشديد ولا سيما الجليد يحرق الزروع والثمار كما الشيء كما يحرق الشيء بالنار. اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهالكته. اي فاحرقته - 00:22:10

يعني بذلك الصعقة اذا نزلت على حرث قد ان شذاذه او حصاده فدمنته واعدمت ما فيه من ثمر او زرع فذهبت فيه به وافساده فعلمه صاحبه احوج ما كان اليه فكذلك الكفار يمحق الله - 00:22:30

وثواب اعمالهم في هذه الدنيا. كما يذهب ثمرة هذا الحرث بذنب صاحبه. وكذلك هؤلاء بنوها على غير اصل وعلى غير اساس وما ظلمه الله ولكن انفسهم يظلمون. والله اعلم - 00:22:50

صلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:23:10